

لجنر والتحويلات الثقافية في الرواية النسائية الجزائرية؛ رواية (تشرفت برحيلك) لفيروز رشام

Gender and Cultural Transformations in Algerian Women's

Novels: The Novel "Honored by Your Departure" by Fayrouz Racham

مزياني كلثوم¹ / منصورى نجوى²

Kaltoum meziani¹ / nadjoua mansouri²

مخبر المتخيل الشفوي وحضارات المشافهة والكتابة والصورة.

جامعة الحاج لخضر باتنة1(الجزائر)

Batna1 university (Algeria)

kaltoum.meziani@unv-batna.dz¹ / nadjoua.mansouri@univ-batna.dz²

تاريخ النشر: 2025/03/02

تاريخ القبول: 2024/12/01

تاريخ الإرسال: 2025/09/15

ملخص البحث

تهدف هذه الورقة البحثية لتقصي قضايا الجندر والتحويلات الثقافية في المجتمع الجزائري من منظور نسائي. انصب اختيارنا لرواية "تشرفت برحيلك" للكاتبة الجزائرية فيروز رشام حيث تسلط الضوء على التمرد على الأدوار التقليدية المفروضة على النساء. تستعرض الرواية رحلة شخصيات نسائية في البحث عن هويتهن واستقلالتهن، معبرة عن الصراعات الداخلية والخارجية التي تواجهها في مجتمع يحافظ على العادات والتقاليد. تقدم الرواية نقداً اجتماعياً للمفاهيم المتعلقة بالجندر، وتظهر التغيرات عبر الأجيال، مؤكدة على التحويلات الثقافية التي تشهدها الجزائر ودور المرأة المتزايد في السعي نحو الحرية والمساواة. الكلمات المفتاحية: الجندرية؛ الرواية النسائية؛ فيروز رشام. تشرفت برحيلك.

Abstract :

This research paper highlights gender issues and cultural transformations in Algerian society from a female perspective. Our focus is on the novel "Honored by Your Departure" by Algerian author Fayrouz Racham, where the rebellion against traditional roles imposed on women is vividly portrayed. The novel examines the journey of female characters as they seek their identity and independence, expressing the internal and external struggles they face in a society that still clings to many customs and traditions. The novel offers a social critique of gender-related

* مزياني كلثوم. kaltoum.meziani@unv-batna.dz

concepts, emphasizing the cultural shifts occurring in Algeria and the growing role of women in the pursuit of freedom and equality.

Keywords: Gender; Women's Novels; Fayrouz Racham; Honored by Your Departure



1. مقدمة:

اكتسبت قضية الجندر في الدراسات الأدبية أهمية كبيرة خاصة في العقود الأخيرة. شغلت هذه القضية الرواية النسائية بعدما حظيت المرأة بمكانة اجتماعية وثقافية في ظل ظهور الحركات النسوية خلال العقود الأخيرة. حيث أتاحت فرصة لطرح قضايا الهوية الجندرية وتأثيرها على المرأة من خلال تجارب وخبرات الكتابات أنفسهن. من خلال الدراسات الأدبية النقدية المركزة على تفكيك الصور النمطية للذكورة والأنوثة في الأدب. من خلال ما سبق ذكره نطرح مجموعة من الأسئلة لعل أهمها:

ما هو الجندر؟

هل كانت للكتابة الجندرية دور في ادراك أهمية الذات الأنثوية؟

تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على قضايا النوع الاجتماعي والتحولات الثقافية في المجتمع الجزائري من خلال رواية تشرفت برحيلك لفيروز رشام، واستكشاف رحلة بحث عن الهوية الأنثوية والاستقلالية. كما تهدف إلى تحليل الصراعات الداخلية والخارجية التي تواجهها المرأة في مجتمع يحافظ على العادات والتقاليد. بالإضافة إلى ذلك، تسعى الدراسة إلى التركيز على التحولات الثقافية التي شهدتها الجزائر والدور المتزايد للمرأة في السعي نحو الحرية والمساواة.

2. تعريف الجندر "gender":

يتعلق مفهوم الجندر بالأدوار المجتمعية المرتبطة بالرجال والنساء. على عكس الجنس البيولوجي، فإن الجندر يتشكل من خلال العوامل الاجتماعية والثقافية، وليس من خلال الخصائص البيولوجية. هذه الأدوار الجندرية تختلف من مجتمع لآخر ومن ثقافة لأخرى، وهي ليست ثابتة بل قابلة للتغيير والتطور مع مرور الوقت. يؤكد التعريف على أن هذه الأدوار والتوقعات تتأثر بالمعايير الثقافية والاجتماعية السائدة في كل مجتمع، وبالتالي فهي تعكس التصورات والقيم المجتمعية أكثر من كونها حقائق بيولوجية ثابتة "يعدّ مفهوم الجندر "gender" أحد المفاهيم التي تشكّلت في سياق الحضارة الغربية وتنأى الحديث عنها في نهاية القرن العشرين سواء في نصوص علم الاجتماع أو في المسائل المتعلقة بالمجتمع وصار يستخدم كأداة لتحليل العلاقات الاجتماعية بين المرأة والرجل وما ينجم عنها من أدوار متباينة ومكانات مختلفة بين الجنسين تتجسد في التفاوت الحاصل بينها للوصول إلى

مختلف الموارد المرتبطة بالقوة، الثروة والسلطة، فنقد هذا المفهوم وما تعلق به من جهاز مفاهيمي كفهم المساواة الجندرية، العلاقات الجندرية، الأدوار الجندرية وغيرها¹. فالجندر يتجاوز الاختلافات البيولوجية بين الجنسين ليركز على البناء الاجتماعي والثقافي المحيط بالهوية الجنسية والأدوار المنوطة بكل جنس. وهذا البناء قد يختلف بشكل كبير بين المجتمعات المختلفة. باستخدام مفهوم الجندر، أصبح بإمكاننا فهم كيف تؤثر هذه العوامل الاجتماعية والثقافية على الفروق بين الجنسين في الحقوق والفرص والمكانة الاجتماعية، وكيف تؤدي هذه الفروق إلى عدم المساواة بينها. من هنا نبعت مفاهيم مشتقة من الجندر مثل "المساواة الجندرية" و"العلاقات الجندرية" و"الأدوار الجندرية"، والتي تسعى إلى تحليل وفهم هذه الفروق وإيجاد طرق لتحقيق المساواة بين الرجل والمرأة. في المقابل، هناك نقد لهذه المفاهيم يهدف إلى فحص افتراضاتها وتطبيقاتها النظرية والعملية، بهدف تطويرها وتعميق فهمنا لها وللعلاقات بين الجنسين بشكل أشمل.

إن مفهوم الجندر أو النوع الاجتماعي مفهوم حديث نسبيا . فقد ظهر على الساحة الدولية منذ إعلان العام الدولي للمرأة 1975 . وترسخ خلال العقد الدولي للمرأة (1976-1985) ؛ فبرزت الاهتمامات بضرورة معالجة الفجوات النوعية القائمة بين الرجال والنساء في العديد من المجالات التشريعية والصحية والتعليمية والمهنية والحياة السياسية وغيرها من أجل تحقيق عدالة النوع الاجتماعي، سواء على المستوى الدولي أو على مستوى الدول النامية عامة والوطن العربي بشكل خاص². كان الهدف الأساسي من هذه الجهود هو تحقيق ما يُعرف بعدالة النوع الاجتماعي، وهو مسعى لم يقتصر على المستوى الدولي فحسب، بل امتد ليشمل الدول النامية بشكل عام، مع تركيز خاص على منطقة الوطن العربي. هذا التطور في مفهوم الجندر وما تبعه من حمود عكس تحولاّ مهمّا في الفكر الاجتماعي والسياسي العالمي، مؤكداً على أهمية المساواة بين الجنسين كركيزة أساسية للتنمية المستدامة والعدالة الاجتماعية.

3. الكتابة النسائية والجندرية

ارتبطت الكتابات النسائية بالجندر وتتقاطع مع فكرة الهوية، العرق والطبقة والجنس والجنسية. يمكن لهذه التقاطعات أن تزيد من إثراء الكتابة الأدبية خاصة الروايات كونها مجالا واسعا يتبنى ووجهات النظر التي يقدمها الكاتب. لذا نجد الكتابات النسائية تتبنى هذه الأفكار وقد ارتبطت الكتابات الجندرية بالنسوية: فالجندرية نظرة نسوية تهدف إلى تحقيق العدالة والمساواة والإنصاف، وبناء مجتمع تنموي تشارك فيه المرأة مع الرجل بشكل متكامل ومتماثل لتحقيق نهضة مجتمعية حقيقية . ولقد تأثرت الجندرية بكتابات سيمون دوبوفوار حول الجنوسة من جهة أولى، وكتابات ما بعد الحداثة كما عند ميشيل فوكو وجاك ديريدا من جهة ثانية، والكتابات النسوية والنسائية من جهة ثالثة³. الجندرية كنظرية تتجاوز مجرد المطالبة بالمساواة بين الجنسين، فهي تسعى إلى إعادة تشكيل الهياكل الاجتماعية والثقافية بأكملها. وهي تنظر إلى الأدوار الجندرية على أنها بناءات اجتماعية قابلة للتغيير، وليست حتميات بيولوجية ثابتة. وكان تأثير سيمون دي بوفوار جوهريا في هذا المجال، خاصة من خلال

مقولتها الشهيرة "المرأة لا تولد امرأة، بل تصبح كذلك"، والتي شكلت أساساً للتفكير في الجندر كهوية مكنسبة اجتماعياً. أما إسهامات فوكو ودريدا، فقد قدمت أدوات نقدية لتفكيك مفاهيم السلطة والهوية، مما ساعد النظرية النسوية على تحليل كيفية إنتاج وإعادة إنتاج التفاوتات الجندرية عبر الخطابات والممارسات الاجتماعية. "يكون الجندر أساس النظرية النسوية المعاصرة، فقد تبنته مفكرات الحركة النسائية في الصف الثاني من القرن العشرين ساعين للتفريق بينه وبين مفهوم الجنس، وقد صاغ مفهوم الجندر عالم النفس (روبرت ستولر) لكي يميز المعاني الاجتماعية والنفسية للأثوة والذكورة عن الأسس البيولوجية للفروق الجنسية الطبيعية التي خلقت مع الأفراد⁴. الكتابات النسوية والنسائية ساهمت في توسيع نطاق النقاش حول الجندر ليشمل قضايا متنوعة مثل العمل والأسرة والسياسة والجسد، مؤكدة على تداخل الجندر مع أشكال أخرى من الهوية والتمييز كالعرق والطبقة. هذه النظرية تدعو إلى إعادة النظر في المفاهيم التقليدية للذكورة والأثوة، وتشجع على خلق مساحات اجتماعية وسياسية أكثر شمولية وتنوعاً، حيث يمكن للأفراد التعبير عن هوياتهم الجندرية بحرية أكبر.

مع صعود الموجة الثانية من الحركة النسوية في الستينيات والسبعينيات، ظهر نقد عميق للأطر التقليدية التي تم فيها دراسة قضايا النساء. والنقاشات النسوية بدأت تتحدى المفاهيم التقليدية حول الأدوار الاجتماعية، وظهرت الحاجة إلى تحليل أكثر تعقيداً يفسر كيف يُعاد إنتاج تلك الأدوار عبر الثقافة والمجتمع، وليس فقط عبر البيولوجيا. ظهر مصطلح الجندر في الدراسات النسوية بموجتها الثانية، وكان قبل ذلك يدرس تحت عنوان "علم اجتماع المرأة"... إذ شرع في استخدامه كمفهوم تحليلي، الغاية منه إبراز ما يسمى بالأدوار الجندرية، التي أثبتت الدراسات في مختلف التخصصات أنها تختلف باختلاف الثقافات⁵. وكان الهدف من استخدام "الجندر" كمفهوم تحليلي هو تفكيك وفهم كيف تتشكل الأدوار الاجتماعية وما يترتب عليها من تأثيرات على حياة الأفراد. النسوية في موجتها الثانية وما بعدها استخدمت الجندر لفحص أشكال السلطة والهيمنة، وكيفية تأثيرها على كل من الرجال والنساء بطرق مختلفة. لم يقتصر دور الجندر فقط على النساء؛ بل على النظام الاجتماعي ككل. عبرت أيضاً الدراسات النسوية أيضاً كيف يتم تقييد الرجال ضمن أدوار معينة، وكيف تؤثر هذه الديناميكيات على العلاقات بين الجنسين.

تهتم الدراسات الجندرية بتفكيك الأنماط التقليدية التي تحدد الأدوار الاجتماعية لكل من الرجال والنساء، وتكشف عن الطريقة التي تُبنى بها هذه الأدوار وتتجسد في المؤسسات الاجتماعية المختلفة مثل الأسرة، والتعليم، والإعلام، والقوانين. تُبرز هذه الدراسات تأثير القوة والسلطة على تشكيل العلاقات بين الجنسين، وتُظهر كيف يمكن أن تُستخدم تلك الأدوار كأدوات للسيطرة والتمييز. تعد الدراسة الجندرية فرعاً من الدراسات النسوية التي تعد بدورها فرعاً من الدراسات النسوية التي تعد بدورها فرعاً من الدراسات الثقافية. وقد ترجم المصطلح الإنجليزي gender (بالفرنسية: Genere) إلى عدة مصطلحات عربية منها: الجندر، الجنوسة، الهوية الجنسية، النوع الاجتماعي، الجنس الاجتماعي، الجنس الثقافي، التذكير والتأنيث، الفروق

الجنسية، وغيرها⁶. لتعزيز الفهم المتعدد الأبعاد للنوع الاجتماعي وتأكيد أن الهوية الجندرية هي نتاج للبيئة الاجتماعية والثقافية وليست فقط انعكاسًا للاختلافات البيولوجية.

الكتابة الجندرية تساهم في إعادة تشكيل الفضاء الأدبي من خلال فتح المجال أمام أصوات كانت مهمشة ومغيبية عن الساحة الأدبية للمرأة كانت في غياهب النسيان فلم يكن صوتها مسموعا. بعد التحويلات الثقافية والاجتماعية تم إعادة بناء البني الاجتماعية والثقافية وأصبحت للمرأة قدرة أن تثري الفهم الأدبي وتضيف أبعادًا جديدة للنصوص. وهذا يتضمن أيضًا الكشف عن التحيزات الجندرية في النقد الأدبي، والسعي لإعادة تقييم الأعمال الأدبية من منظور جندري، مما يتيح فهمًا أعمق وأكثر شمولية للنصوص. "وتعني الكتابة الجندرية أن كتابة الأثني مختلفة عن كتابة المذكر بمجموعة من الخصائص على مستوى التجارب الذاتية والموضوعية، وعلى مستوى الكتابة الفنية والجمالية، وعلى مستوى الوظائف والمقاصد المباشرة وغير المباشرة⁷ حيث تختلف التجارب التي يمر بها الذكر والأثني في حياتها اليومية، وهذه التجارب تؤثر على الكتابة وتعكس في النصوص الأدبية. الأثني قد تركز أكثر على جوانب معينة من الحياة مثل العلاقات الإنسانية والتحديات الاجتماعية التي تواجهها، بينما الذكر قد يركز على مواضيع أخرى من خلال تجاربه. في حين نجد اختلاف في الأساليب الفنية والجمالية في الكتابة بين الذكر والأثني. قد تكون الكتابة الأثنية أكثر حساسية وتفصيلاً في وصف المشاعر والعواطف، بينما قد تكون الكتابة الذكورية أكثر تركيزاً على الأحداث والعمل. بصفة عامة، الكتابة الجندرية تسلط الضوء على الفروقات بين الجنسين في التعبير الأدبي والفني، وتأخذ بعين الاعتبار التأثيرات الاجتماعية والثقافية التي تشكل هذه الفروقات. فهي ظاهرة معقدة ومتعددة الأوجه تشمل الاختلافات في وجهات النظر والخبرات والاختيارات الأسلوبية والاهتمامات المواضيعية. ومن خلال تقدير هذه الفروق، يمكن للقراء والنقاد الحصول على فهم أعمق لنسيج الأدب الغني والمتنوع.

4. تمثيلات الجندر في الرواية النسائية الجزائرية (تشرفت برحيلك)

أ- الهوية الأثنية والبحث عن الذات

تسعى الأثني لإثبات ذاتها من خلال كتاباتها. التي غالباً ما تكون انعكاساً للهوية الأثنية وتعبيراً عنها. من خلال الكتابة، تستطيع النساء استكشاف هويتهن ومشاركة تجاربهن، وتحدي الصور النمطية التي تفرضها المجتمعات. الكتابة الأثنية ليست فقط وسيلة للتعبير الشخصي، بل هي أيضاً أداة للتغيير الاجتماعي والثقافي، حيث تمكن النساء من إحداث تأثير على مستوى أوسع. هذا ما نلمسه في كتابة فيروز رشام من خلال منجزها الروائي تشرفت برحيلك فقد حاول إثبات هوية أثنوية من خلال شخصياتها

في ظل التحويلات السياسية والاجتماعية والثقافية التي شهدتها المجتمع الجزائري في العقود الأخيرة، برز صوت المرأة الكاتبة كظاهرة أدبية لافتة، حيث استطاعت أن تخلق لنفسها مساحة خاصة في المشهد الأدبي، متجاوزة القيود التقليدية التي طالما كبّلت الإبداع النسوي. وتعد رواية "تشرفت برحيلك" للكاتبة فيروز رشام

نموذجاً مهماً يعكس هذه التحولات، حيث تقدم صورة جديدة للكتابة النسائية تترجم بين الجراة في الطرح والعمق في المعالجة. تتناول الرواية إشكالية الهوية الأنثوية في المجتمع العربي عموماً والجزائري خصوصاً، مستخدمة تقنيات سردية حديثة تعكس تطور الوعي النسائي وتحولاته. وتظهر هذه التحولات بشكل جلي في المقطع الذي بين أيدينا، حيث يكشف عن صراع عميق بين الذات الأنثوية والقيود المجتمعية، مقدماً رؤية جديدة للعلاقة بين المرأة وذاتها من جهة، وبينها وبين المجتمع من جهة أخرى. "من يوم ميلادي الذي ربما لم يكن سعيداً، لأن لا أحد أخبرني لاحقاً أنه فرح بقدمي. أو من يوم أدركت أنني في الحقيقة لم أكن قبلاً حية، إنما كنت فقط على "قيد الحياة"! أم من يوم متّ وشبعت موتاً حتى انفجرت فجأة شهيتي للحياة بكل كياني وعنقواني وجنوني!"⁸ يكشف النص أيضاً عن تحولات أعمق في البنية السردية للرواية الجزائرية المعاصرة، حيث يتجلى استخدام تقنية تيار الوعي والمونولوج الداخلي كأداة للتعبير عن الصراع النفسي والاجتماعي للمرأة. وتتجسد هذه التحولات في اللغة المستخدمة التي تترجم بين الشعرية العالية والعنف التعبيري، خاصة في استخدام مفردات مثل "انفجرت" و"عنقواني" و"جنوني" التي تعكس حالة التمرد على القيود الاجتماعية والثقافية. كما يظهر النص تطوراً في معالجة قضايا الهوية الأنثوية، متجاوزاً المحرمات التقليدية في الكتابة النسائية العربية، ليقدم صورة جديدة للمرأة المتمردة على الأعراف الاجتماعية والثقافية التي تقيد حريتها. وهذا التحول في الكتابة النسائية الجزائرية يعكس تحولاً أوسع في المجتمع الجزائري نفسه، حيث بدأت المرأة تأخذ مساحة أكبر للتعبير عن ذاتها وتجاربها بصورة أكثر جرأة وصراحة، متجاوزة الصور النمطية التقليدية التي حصرتها في أدوار محددة.

وقد استطاعت المرأة الكاتبة أن تفرض حضورها في المشهد الأدبي من خلال نصوص تتميز بالجرأة والعمق في طرح القضايا المسكوت عنها في المجتمع. وقد ساهمت التحولات السياسية والاجتماعية والثقافية التي عرفها المجتمع الجزائري في بروز جيل جديد من الكاتبات اللواتي تجاوزن الأطر التقليدية في الكتابة النسائية إلى فضاءات أرحب تعبر عن هموم المرأة وتطلعاتها، حيث تقدم صورة جديدة للمرأة المثقفة التي تتخذ من الكتابة سلاحاً للتغيير الاجتماعي. بدءاً من المشهد الافتتاحي الذي يؤسس حوار عميق حول قضايا المرأة في المجتمع الجزائري المعاصر، مما يجعلها نصاً مهماً في مسار تطور الرواية النسائية الجزائرية. "الجزائر العاصمة أواخر شهر ديسمبر 2015. الجو بارد وممطر، وهذا أول حوار صحفي تقبل فاطمة الزهراء بإجرائه، فهي لم تكتب من أجل الشهرة إنما من أجل قضية. معلمة مجهولة لا يعرفها سوى تلاميذها قبل أن تصدر كتاباً مثيراً، تحاورها صحفية ذكية وعميقة تعمل في مجلة أدبية مرموقة، وقد اتفقتا على اللقاء في مكان دافئ وهادئ"⁹. فاختيار فصل الشتاء وتحديد شهر ديسمبر بأجوائه الباردة والممطرة ليس اعتباطياً، بل يحمل دلالات رمزية تتناغم مع طبيعة الموضوع المثير للجدل الذي تناولته الرواية. كما أن اختيار شخصية المعلمة كبطلة للرواية يعكس تحولاً مهماً في الرواية الجزائرية المعاصرة، حيث يتم تسليط الضوء على شخصية من الطبقة المتوسطة المثقفة، التي تحمل همماً فكرياً واجتماعياً. ويبرز النص التناقض بين البساطة الظاهرة للشخصية (معلمة مجهولة) وعمق تأثيرها من خلال كتابها

المثير، مما يشير إلى قوة الكلمة وقدرتها على إحداث التغيير. أما اختيار صحفية "ذكية وعميقة" كمحاورة يدل على رغبة في تقديم حوار جاد وعميق يتجاوز السطحية والمباشرة، ويؤسس لنقاش فكري وثقافي جاد حول القضايا المطروحة في الرواية وتتوضح مكانة المرأة وتثبت كيانها وهويتها خاصة في فترة دامية من تاريخ الجزائر.

ب- تصوير العلاقات بين الجنسين في الرواية

شكلت رواية تشرفت برحيلك نسيجاً من العلاقات بين المرأة والرجل كانت هذه العلاقات متأرجحة بين حب وكره، خصام وصلح

ب-1 علاقة الأب بأبنائه

أول علاقة نبدأ بها علاقة البطلة فاطمة الزهراء و أبيها كانت الأب بالنسبة لفاطمة السند والمؤيد لكل قراراتها كانت تحتفي به دوماً من ظلم وبطش أخيها "كيف تتجرأ على ضربي ابنتي في حضوري؟"¹⁰ شكل الأب بالنسبة لفاطمة السلطة الداعمة والحماية طول حياتها لا تخافي فأنت ابنتي، وأنا من يقرر وليس فؤاد أو رشيد. اذهبي لتدرسي وفي المساء سأفهمك معها.

في حين شكل زوجها و أب أولادها مصدر خوف وقلق لأبنائه فقد كان شخص لا يهتم لحال أبنائه ولم يقيم يوماً بدوره كأب وكان يلقي كل المسؤولية على الأم بحجة أنها تعمل و تترك أبنائها دون رعاية.

ب-2 العنف والتمييز ضد المرأة

في الرواية عدة أشكال للعنف ضد المرأة خاصة وأن الرواية في فترة العشرية السوداء وكان لا انتشار الأفكار المتطرفة صداها على المجتمع والثقافة والدين. كل هذه العوامل خلقت من الدين حجماً لتحقير المرأة وتمييزها أكثر ولعل ما عاشته فاطمة الزهراء من ظلم مع أخيها في بداية شبابها "في اليوم الموالي كنت أستعد للذهاب إلى الثانوية بحماس، وكنت سأدخل الحمام حينما تقاطعت معه في الرواق. رمقني بنظرة ثم قال: -هيه أنت .. أمازلت تجوين الطرقات صباح مساء!

-أذهب إلى الثانوية لا إلى الطرقات.

كان سيضربني لولا أن أي هم بالخروج، فتراجع مهددا:

-قريباً سأهتّم بك..

دق قلبي دقات خوف وارتباك. كل شيء يمكن أن أتحمّله إلا فكرة مغادرة الدراسة"¹¹.

يشير النص إلى الظلم والقهر الذي عاشته البطلة خلال فترة تعليمها الثانوي من قبل أخ انظم للجاعات المسلحة وكان كل ما يحفظه من الدين أن المرأة مكانها البيت وأن خروجها عار ومذلة للعائلة.

كانت المرأة الجزائرية ملزمة بارتداء الحجاب حتى لا تفقد حياتها فكانت كل فتاة بدون حجاب يكون الثمن حياتها، فقد كان أخ فاطمة الزهراء يتوعدها بالقتل إن لم ترتدي الحجاب:

"- عودي وغيّري ملابسك!

- ماذا؟!

- قلت عودي والبسي لباسا محتشما ومستورا.

- ما به لباسي؟ إنه مستور!

- اذهبي وغطي شعرك قبل أن أقطع لك رأسك!

- أغطي شعري! ولماذا؟ لن أفعل ذلك.

جرّيت نحو الباب لأغادر لكنه لحقني وشدّني من شعري. جرّني

من فناء الدار إلى مدخل البيت وانهاled علي باللكات والركلات.

- قلت تحجي ألا تفهمين! ألا تخافين من أحد!¹² يكشف هذا المشهد العنيف من الرواية عن إشكالية

عميقة تتعلق بفرض الحجاب بالقوة في المجتمع، حيث يصور النص مشهداً قاسياً من العنف الجسدي والنفسي الذي تتعرض له المرأة تحت غطاء الدين والتقاليد. ويظهر ذلك جلياً من خلال الحوار المتصاعد الذي يبدأ بالأمر ("عودي وغيري ملابسك!"), ثم يتطور إلى التهديد ("قبل أن أقطع لك رأسك!"), وينتهي بالعنف الجسدي المباشر (الجبر من الشعر، اللكات والركلات). وتبرز الكاتبة من خلال هذا المشهد التناقض بين مفهوم الستر والاحتشام من وجهة نظر المرأة ("إنه مستور!") ووجهة نظر السلطة الذكورية التي تفرض رؤيتها بالقوة. كما يكشف السؤال الأخير "ألا تخافين من أحد!" عن منظومة الترهيب المجتمعي التي تستخدم الخوف أداة لفرض السيطرة على جسد المرأة وحرّيتها الشخصية، مما يجعل من مسألة الحجاب قضية تتجاوز البعد الديني لتصبح أداة من أدوات القمع والسيطرة الاجتماعية.

ولم يكن زواج فاطمة استقرار و ستره كما كان يصفه المجتمع فقد اشتد عذابها وألمها أكثر وكما كانت تردد أن عذابها بعد الزواج أصبح موزع على أبنائها، حيث كان زوجها يتأذ بتعذيبها ويفرض الطلاق "ما إن سمع هذه الجملة حتى شدني من شعري وبدأ يضربني بشكل عشوائي. رماني فوق السرير ثم خرج. لقد هربت من وحش إلى وحش آخر!"¹³ لم تنعم فاطمة الزهراء بأي سعادة في زوجها. في حين كان الكل يرفض طلاقها بحجة أن المرأة سترها بالزواج وأن الطلاق عار وذل عاشت جل أنواع العذاب بدعم من عائلة الزوج وبدعوة أن هذا حلال وهذا حرام كيف لا وهي تعيش في بيت فيه إمام لم يعرف من الدين سوى أن الشرع حلل أربعة . وأن المرأة مكانها البيت. لم تنتهي معاناتها مع زوجها فقد ربت حاتها ابنها الذي سار على خطى عمه المتطرف فكان عزائها أكبر: "خفت دائماً من أخي، ثم من زوجي، والآن جاء دور ابني! لكنني قررت أن أضع حداً لكل الرجال الذين حولوا حياتي إلى جحيم وتحكموا فيها دون أن يجلبوا إليها ذرة سعادة ولو كان ابني، وهذا هو الامتحان الأصعب!"¹⁴ لحظة جوهريّة في تحول وعي المرأة من موقف الخضوع إلى موقف المقاومة والرفض، حيث تكشف عن سلسلة من العلاقات القمعية التي مرت بها في حياتها بدءاً من سلطة الأخ، مروراً بالزوج، وصولاً إلى الابن. تمثل عبارة "قررت أن أضع حداً" نقطة تحول محورية في حياة الشخصية، معلنة رفضها للنظام الأبوي بكل

تجلياته، حتى في علاقتها بابنها الذي يمثل امتداداً لهذا النظام. يكشف النص عن الصراع العميق بين الأدوار التقليدية للمرأة، خاصة دور الأم، وتطلعها للتحرر وتأكيد ذاتها، مما يجعل قرار المواجهة "الامتحان الأصعب". هذا التحول في موقف الشخصية يعكس تحولاً أعمق في المجتمع الجزائري وتغيراً في الوعي النسوي، حيث تتجاوز المرأة حالة الخوف المزمّن إلى حالة المواجهة والتفرد على النظام الاجتماعي القائم، ساعية إلى تحقيق ذاتها وكرامتها حتى في مواجهة أقرب المقربين.

ج- التعليم وفرص العمل للمرأة

رغم ما عانتها المرأة في مجتمع الرواية من قهر وظلم لكن لم تتخل عن التعليم وهذا مكان واضحاً في إصرار البطلة على مواصلة دراستها وتحدي جل أنواع الظلم من طرفي أخويها المتطرفين. وكان الداعم لها في هذا النهج والدها الذي ساندتها من أجل مواصلة تعليمها: "أبي رجل يقدس العلم ويجهل رغم كونه محدود التعليم، ولا فرق عنده في ذلك بين ذكر وأنثى"¹⁵. تشير رشام هنا إلى وجود أب واع بأهمية التعليم لكلا الجنسين فرمما لم تكن فاطمة لتكمل تعليمها وسط كل تلك الظروف المناهضة لحقوق المرأة.

بعد رسوب فاطمة في شهادة البكالوريا تجدد مأساتها مع أخيها بأن مكانها البيت وأن خروجها عار. تدخل العم ودعم الأب تمكنت من الحصول على الموافقة لتكون من أجل الحصول على وظيفة معلمة في الطور الابتدائي. تحصلت فاطمة على عمل بالقرب من مسكنها، لتنتقل بعدها للعمل في البلدة حيث تزوجت وكان مقابل إكمالها للعمل استئلا زوجها المثقف على راتبها. هذا كان حال أغلب النساء العاملات في تلك الفترة كما سبق وقلنا أن انتشار الفكر المتطرف جعل مكانة المرأة في الهامش فكانت وظيفتها الوحيدة هي الإنجاب ورعاية أهل المنزل. وإن سمح لها بالعمل سيكون المقابل الحصول على راتبها.

4- تحدي الأعراف الاجتماعية ورفض البطريكية

تظهر الكتابة الأدبية النسائية كصوت جريء يواجه المجتمعات المتخلفة التي تتبنى مفاهيم تقليدية تُصنف المرأة ككائن أدنى على أساس بيولوجي بحت، ودون اعتبار للمساواة والعدالة. هذه الكتابات لا تكتفي بمجرد سرد المعاناة، بل تسعى إلى قلب الموازين. "لم تقتصر الجندرية على ما هو فكري وعلمي واجتماعي وبيولوجي فقط، بل تعدى ذلك إلى الكتابة الأدبية النسائية التي كان من أهم أهدافها الدفاع عن المرأة، وإدانة المجتمع الرجولي / البطريكي، والتسفيه بالعادات والتقاليد والأعراف والمجتمعات المتخلفة التي تنظر إلى المرأة نظرة مزدوجة على أساس بيولوجي من جهة، وفي ضوء تصورات خرافية وأسطورية والهوية بعيدة عن اليقين والعلمية الموضوعية"¹⁶. فهي تطرح رؤية نقدية تسعى لتفكيك المفاهيم القديمة وإعادة تشكيل الوعي المجتمعي بطريقة تدعو إلى احترام المرأة وتقدير دورها كإنسان كامل الأهلية والحقوق، متساوٍ مع الرجل في القيمة والقدرات. في هذا السياق، تتحول الكتابة الأدبية النسائية إلى أداة نضالية، تزرع الوعي وتنادي بتغيير حقيقي في النظرة المجتمعية تجاه المرأة، مما يمهد الطريق نحو تحقيق المساواة والاعتراف الكامل بكرامتها وحقوقها.

سعت المرأة لتحقيق ذاتها من خلال رفض جل أنواع السيطرة وكان لبد لها من تنبى أفكار تلغى تقريظها وتقويضها من الحياة المجتمعية "لقد جاءت الدراسات الجندرية كرد فعل فكري يدحض تحقير المرأة باعتبار أن الفروق بين الجنسين إنما وضعت لاعتبارات ثقافية واجتماعية أساسا"¹⁷. رفض السيطرة الأبوية من قبل الأنثى كان من أجل إثبات كيانها ورفع التهميش الذي طالها لعقود من الزمن. شاركت المرأة بعد رفع صوتها والتخلص من التبعية في الحياة الاجتماعية والثقافية وكان لها الدور في رفع الحصار على الكثير من النساء اللواتي عشن تحت جнг الأعراف.

تلك الهالة التي رسمتها الأعراف لمنح الذكر مشروعة التحكم والسيطرة على المرأة فتقلد الذكر وبكل براعة هذا الدور القيادي لجعل الهامش والدونية للمرأة فكان من نصيب الذكر التعليم والعمل وعلى المرأة الانصياع للأوامر والالكان مصيرها التأديب. الحركات التحررية وما جات به من حقوق تنصف المرأة جعلت من المرأة تنفض وتعي أن مكانها الفعلي هو إلى جانب الذكر مساهمة معه في جل الأنشطة الثقافية الاجتماعية الإنسانية. فكان لهذا الوعي دحض فكرة أن "الأنثى محكومة بإطار اضطهادي رسمته لها الثقافة الذكورية، لا يجب أن تخرج عنه؛ هذا ما جعلها تنفطن إلى قيمتها ووجودها المغيب، ثائرة على القيم والمبادئ والقوانين التي سنتها الشريعة الذكورية محدثة ثورة مست جميع المجالات ملغية فكرة التبعية والسلطوية والهيمنة التي ألزما بها التاريخ الإنساني"،¹⁸.

تبدأ أولى ملامح رفض السلطة الأبوية في الرواية من تحدى البطلة فاطمة الزهراء لأخيها من أجل إتمام تعليمها. ورفضها للحجاب كونها سترتديه مجبرة. وبعدها تحديها لزوجها مواصلة العمل رغم الضرب والإهانات التي تعرضت لها بسبب مواصلة التعليم. وفي سعيها للتخلص من هذا الذل قررت الهروب إلى العاصمة للحياة التي تمنيتها دوما ورسمتها منذ كانت طالبة في الثانوي "من الجيد أني غادرت البلدة ولم أعد إلى بومرداس. أحيانا تغيير المكان هو الدواء الوحيد للشقاء من الأحزان. العاصمة مدينة كبيرة ولا يعرفني فيها أحد، والذين يعرفونني خارجا هم حاليا يأكلون لحمي نيئا، لكن هذا ما عاد يهمني الآن. لقد عشت دائما من أجل إرضاء الآخرين، وفي النهاية لا أحد رضي عني!"¹⁹.

لم تكن فاطمة الزهراء الشخصية الوحيدة الراضية للسلطة الأبوية فقد كانت سعاد أكثر شجاعة من فاطمة في اتخاذ قراراتها والدفاع عن حقوقها. بعد موت حبيبها رفضت إكمال دراسة الطب وتوجهت لسلك الشرطة ومكافحة الإرهاب كان قرار جريء لأثني في العشرية السوداء. وغيرهما من الشخصيات الأثوية اللواتي رفضن جل السيطرة الأبوية خاصة في فترة دموية عاشها الوطن.

5- تمكين المرأة من خلال الأدب

يلعب الأدب دورا حيويًا في تمكين²⁰ المرأة من خلال تسليط الضوء على قضاياها وتعزيز الوعي بحقوقها ومكانتها في المجتمع. كانت الكتب والروايات والمقالات وسيلة فعالة لنقل تجارب النساء، سواء تلك المتعلقة

بالتحديات أو الإنجازات. الأدب لا يعرض فقط قصص نساء كاذبن من أجل حقوقهن أو تحدين الصعوبات، بل يعكس أيضًا الأدوار النمطية المفروضة على المرأة وينتقدنها، مما يشجع على إعادة التفكير في هذه الأدوار وإيجاد مساحات جديدة لتمكينها. "فلقد كان مبدأ الجندر باعثا حقيقيا الخوض النضال النسوي من أجل تحقيق العدالة المجتمعية، وفرض المساواة الكاملة بين الجنسين دون تمييز جنوسي، أو عرقي، أو هوياتي، أو طبقي، أو مجتمعي، أو ثقافي؛ والكفاح أيضا من أجل إزالة الفجوة بين الجنسين والنوعين معا، بخلق مجتمع عادل يتعايش فيه الطرفان بسلام وتماثل، ويتكاملان إنسانيا، وثقافيا، واجتماعيا. ومن هنا، فلقد انتقل الجندر من النوع البيولوجي إلى النوع المجتمعي والثقافي"²¹ ويدعو هذا النهج التحويلي إلى التزام مستمر بالتعليم والدعوة لتغيير الوعي العام. وهو ينطوي على تعزيز الوعي حول الصور النمطية الجنسانية وآثارها الضارة، فضلا عن تعزيز البيئات التي يتم فيها الاحتراف بالتنوع والفردية.

عبرت الذات الكاتبة في رواية تشرفت برحيلك عن وعيها بأن الكتابة ما هي إلا تعبير عن حياة تشمل الجميع وفي النهاية ستصبح جزءا من التاريخ تدونه الكتابة. وأن هذا التاريخ هو من يمكن المرأة من الوصول للمركز والنهوض بذاتها وكيانها من تلك البوتقة التي عاشت فيها لحق من الزمن فوعي المرأة بأن لها حقوقا تنصفها وتجعل منها كيانا فاعلا في المجتمع :

"حدثيني عن قصة كتابك.

قصة كتابي هي أيضا قصة حياتي، وقصة حياتي هي قصة مجتمع، وقصة المجتمع هي في النهاية جزء من

التاريخ، ولا أعرف كيف أفضل بين كل هذا.

قصة حياتك هي التي تهمني الآن. فالكتاب موجود وسيظل موجودا حتى وإن اختلفت قراءاته وتعددت تأويلاته، وقصة المجتمع سيكتبها آخرون، أما قصة حياتك فإن لم تحكيها أنت فلن يعرف أحد كيف يحكيها، ثم إن قصص حياة الأفراد هي التاريخ الحقيقي للمجتمعات."²² الرسالة التي تحملها هذه الكلمات هي دعوة للتعبير عن الذات ومشاركة تجارب الحياة الشخصية، لأن هذه القصص هي التي تشكل النسيج الحقيقي للمجتمع، وتعكس تعقيداته وتنوعه. فالتاريخ الرسمي قد يهمل التفاصيل الصغيرة والتجارب اليومية، بينما القصص الشخصية تمنحها الحياة والمعنى.

فرشام تؤكد أنه إذا لم يبادر الأفراد بمشاركة قصصهم، فإن تلك الجوانب الإنسانية العميقة لتاريخ المجتمع ستظل غير مكتشفة وغير مسموعة، مما يحرم المجتمع من فهم أعمق لتاريخه وتجاريه المشتركة.

6- خاتمة :

✓ تمثل فلسفة النوع الاجتماعي نهجًا تقدميًا وتحويليًا لفهم ومعالجة قضايا المساواة والإنصاف بين الجنسين. فهو يتحدى المعايير التقليدية ويسعى إلى تفكيك الهياكل المجتمعية التي تديم عدم المساواة والتمييز. من

خلال تعزيز التكافؤ الكامل بين جميع الجنسين والدعوة إلى مجتمع شامل وعادل ومنصف، تؤكد فلسفة النوع الاجتماعي على أهمية الاعتراف بالتنوع بجميع أشكاله وتقييمه.

✓ تشجع الرؤيا الجندرية لفحص تقدي لديناميكيات السلطة الحالية والأعراف المجتمعية، وتعزيز البيئات التي يمكن للأفراد فيها التعبير عن هوياتهم بحرية وأصيلة. ومن خلال معالجة التقاطع بين مختلف الفئات الاجتماعية، فإنه يهدف إلى خلق فهم أكثر دقة وشمولاً للتجارب والتحديات الفردية.

✓ يتضح أن الكاتبة فيروز رشام قد نجحت في تقديم صورة عميقة ومعبرة عن التحديات التي تواجهها المرأة الجزائرية في ظل التحولات الثقافية والاجتماعية. عبر استخدام السرد الروائي، عكست رشام الصراع بين الرغبة في التحرر والقيود المجتمعية، مسلطة الضوء على قضايا الجندر وإعادة تشكيل الهوية النسائية.

✓ هذه الرواية ليست مجرد حكاية عن التمرد على الأدوار التقليدية، بل هي دعوة للتفكير في مكانة المرأة في المجتمع ودورها في تشكيل مستقبل أكثر عدالة ومساواة.

✓ من خلال شخصيات الرواية المتنوعة وتجاربها الغنية، تفتح الرواية نافذة على التحولات الثقافية التي تعيد رسم أدوار الجندر في الرواية الجزائرية، مما يجعلها عملاً أدبياً مهماً يسهم في النقاش حول قضايا المرأة في العالم العربي.

✓ تكشف رواية تشرفت برحيلك عن الأنماط الجندرية المتغيرة في المجتمع الجزائري المعاصر حيث تقدم نماذج متنوعة للهويات النسائية تتراوح بين التقليدية والحداثيّة وتبرز الصراعات بين الأدوار الجندرية الموروثة والتطلعات الجديدة للمرأة

✓ ترصد التغيرات في المنظومة القيمية للمجتمع الجزائري خاصة في فترة دامية من تاريخ الجزائر.

✓ توضح الرواية إشكالية بناء الهوية النسائية في ظل التحولات المجتمعية ترصد الصراع بين الذات الأنثوية والقيود الاجتماعية تبرز التوتر بين الطموحات الفردية والتوقعات المجتمعية

✓ تقدم الرواية نماذج لمقاومة النساء للأدوار النمطية المفروضة عليهن بتصور استراتيجيات التمكين الذاتي للشخصيات النسائية

✓ تصور التغيرات في ديناميات السلطة داخل الأسرة حيث ترصد تحول الأدوار التقليدية في العلاقات الزوجية تكشف عن نماذج جديدة للعلاقات الأسرية خاصة بعد ظهور الجماعات المتطرفة في العشرية السوداء و تشويه هذه العلاقات باسم الدين.

✓ تقدم الرواية رؤية نقدية للبنى الاجتماعية التقليدية بطرح تصورات بديلة للعلاقات الجندرية تسهم في تشكيل خطاب نسائي جزائري معبر عن الواقع الجزائري عبر مختلف تغيراته.

✓ تكشف رشام عن دور التعليم والعمل في تمكين المرأة في المجتمع يري ان دورها مقتصر على الإنجاب وتربية الأولاد.

✓ تقدم الرواية صورة شاملة ومعقدة للتحويلات الجندرية والثقافية في المجتمع الجزائري المعاصر. محاولة رصد التفاعلات المعقدة بين العوامل الاجتماعية والثقافية والشخصية في تشكيل الهويات الجندرية الجديدة، مقدمة رؤية عميقة لديناميات التغيير الاجتماعي.

هوامش:

- ¹ - ليلي قريدي، (ديسمبر 2020)، مفهوم الجندر وإشكالية الترجمة، مجلة التمكين الاجتماعي، المجلد 02، العدد 04، ص 39.
- ² - عصمت محمد حوسو، الجندر، 2009. الأبعاد الاجتماعية والثقافية، ط1، عمان. الأردن - دار الشروق للنشر والتوزيع.
- ص 21.
- ³ - المرجع نفسه. ص 52.
- ⁴ - المرجع نفسه. 323.
- ⁵ - حميد عبد الوهاب البدراني، 2020، العنف الرمزي مقارنة جندرية في الرواية النسوية، ط1، عمان الأردن - دار غيداء للنشر والتوزيع. ص 27.28.
- ⁶ - رشام فيروز، 2022، تاريخ النساء الذي لم يكتب بعد. دراسة حول الكتابة والجندر في الثقافة العربية، ط1، عمان - دار فضاءات للنشر والتوزيع. ص 25.
- ⁷ - جميل حمداوي، 2020، الكتابة النسائية في ضوء المقاربة الجندرية، ط1، الناظور المملكة المغربية - دار الريف للطبع والنشر. ص 36.
- ⁸ - فيروز رشام، 2018، تشرفت فرحيلك، ط2، عمان - دار فضاءات. ص 6.
- ⁹ - الرواية ص 5.
- ¹⁰ - الرواية ص 8.
- ¹¹ - الرواية ص 9.
- ¹² - الرواية ص 38.
- ¹³ - الرواية ص 133.
- ¹⁴ - الرواية ص 245.
- ¹⁵ - الرواية ص 13.
- ¹⁶ - المرجع نفسه. ص 52.
- ¹⁷ - رشام فيروز، تاريخ النساء الذي لم يكتب بعد، دراسة حول الكتابة والجندر في الثقافة العربية. ص 30.

¹⁸ - أحلام ماي، ليلي بلخير، 2020، هوية الأنثى الجديدة في الرواية النسوية المعاصرة، رواية تقاطع نيران أنموذجا، مجلة (لغة- كلام)، المجلد 6، العدد 2، ص 156.

¹⁹ - الرواية ص 237

²⁰ - يعد مفهوم تمكين المرأة متعدد الأوجه وقد اختلف الكثير من الباحثين في ذلك فقد عرّفه Malhotra وزملاؤه 2003 على أنه مجموعة من الإجراءات التي تصبح بواسطتها المرأة قادرة على تحقيق كفاءتها الذاتي مما يمكنها من المطالبة بحقوقها واستقلاليتها اتجاه الآخر. كما عُرِفَ تمكين المرأة أيضا على أنه عملية تهدف إلى تحرير المرأة من تبعيتها للآخر عن طريق تعميق وعي المجتمع بضرورة مشاركتها في صنع القرار وإتاحة الفرص للنساء للمشاركة في مناحي الحياة كافة و استثمار قدراتهن وطاقتهن في تقديم وتطور المجتمع وذلك انطلاقا من كونها مواطنة له كافة الحقوق وعليه كافة الواجبات و تتطلب هذه العملية إحداث تغيرات جذرية لما هو سلمي بالموروث الثقافي إلى جانب إحداث تغيرات في القوانين. ينظر بن على أمينة، mai 2020، التمكين النسوي بالجزائر بين المفهوم والتبني. Journal d'Economie, de Management, d'Environnement et de Droit (JEMED) Vol 3. N°2، ص 2.

²¹ - أحلام ماي، ليلي بلخير، هوية الأنثى الجديدة في الرواية النسوية المعاصرة. رواية تقاطع نيران أنموذجا، ص 38.

²² - الرواية ص 5.

قائمة المراجع: الكتب:

1. جميل حمداوي، 2020، الكتابة النسائية في ضوء المقاربة الجندرية، ط1، الناظور المملكة المغربية- دار الريف للطبع والنشر.
2. حميد عبد الوهاب البدراني، 2020، العنف الرمزي مقارنة جندرية في الرواية النسوية، ط1، عمان الأردن- دار غيداء للنشر والتوزيع.
3. عصمت محمد حوسو، الجندر. 2009. الأبعاد الاجتماعية والثقافية، ط1، عمان. الأردن- دار الشروق للنشر والتوزيع.
4. فيروز رشام، 2022، تاريخ النساء الذي لم يكتب بعد. دراسة حول الكتابة والجندر في الثقافة العربية، ط1، عمان- دار فضاءات للنشر والتوزيع.
5. فيروز رشام، 2018، تشرفت فرحيلك، ط2، عمان- دار فضاءات.

المجلات:

- 6- أحلام ماي، ليلي بلخير، 2020، هوية الأنثى الجديدة في الرواية النسوية المعاصرة، رواية تقاطع نيران أنموذجا، مجلة (لغة- كلام)، المجلد 6، العدد 2، الصفحات: 154-163
- 7- بن على أمينة، mai 2020، التمكين النسوي بالجزائر بين المفهوم والتبني. Journal d'Economie, de Management, d'Environnement et de Droit (JEMED) Vol 3. N°2، ص 2.
- 8- ليلي قريدي، (ديسمبر 2020)، مفهوم الجندر وإشكالية الترجمة، مجلة التمكين الاجتماعي، المجلد 02، العدد 04. الصفحات 38-49